

أضواء البيان

@ 176 والأنبياء ، والصالحون : واللّه لقد لبثتم في كتاب اللّه إلى يوم البعث ، فهذا يوم البعث ، ولكنكم كنتم لا تعلمون . . .

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في سورة (يس) على أصحّ التفسيرين ، وذلك في قوله تعالى : { وَقَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا نَأْمُرُ بِعَدْوَانِكُمْ مِنْكُمْ فَادْبَعُوا أَسْمَاءَ بَنِيكُمْ مِنْكُمْ حَيْثُ كَانُوا يَكْفُرُونَ } . . .

والتحقيق أن هذا قول الكفار عن البعث ، والآية تدلّ دلالة لا لبس فيها ، على أنهم ينامون نومة قبل البعث ، كما قاله غير واحد ، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان : { هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَمَا كَفَرْتُمْ بِهِ قَدْ نَسُوا آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي بُرِّئُوا بِهَا مِنْ كُفْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } أي : هذا البعث بعد الموت ، الذي وعدكم الرحمن على السنة رسله ، وصدق المرسلون في ذلك ، كما شاهدتموه عياناً ، فقوله في (يس) : { هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَمَا كَفَرْتُمْ بِهِ قَدْ نَسُوا آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي بُرِّئُوا بِهَا مِنْ كُفْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } وهو مطابق لمعنى قوله : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْغَيْبُ عَلَيْنَا وَإِنَّا لَنَعْلَمُ الْغَيْبُ مَا نَشَاءُ } . . .

والتحقيق أن قوله هذا إشارة إلى ما وعد الرحمن وأنها من كلام المؤمنين ، وليست إشارة إلى المرفد في قول الكفار : { مَنْ يَدْعُنَا إِلَى ضَلَالٍ مِثْلِ مَا كُنَّا فِيهَا فَبِمَا كُنَّا كَاذِبِينَ } . . . وقوله : { فِي كِتَابِ اللَّهِ } ، أي : فيما كتبه وقدره وقضاه . وقال بعض العلماء : أن قوله : { هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَمَا كَفَرْتُمْ بِهِ قَدْ نَسُوا آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي بُرِّئُوا بِهَا مِنْ كُفْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ، من قول الكفار ، ويدلّ له قوله في (الصافات) : { وَقَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا نَأْمُرُ بِعَدْوَانِكُمْ مِنْكُمْ فَادْبَعُوا أَسْمَاءَ بَنِيكُمْ مِنْكُمْ حَيْثُ كَانُوا يَكْفُرُونَ } . . .

وقوله : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا لَنَعْلَمُ الْغَيْبُ مَا نَشَاءُ } . . . قد قدّمنا ما فيه من اللغات ، والشواهد العربية في سورة (النحل) ، في الكلام على قوله تعالى : { ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } . . . { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ } . . .

وقوله : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا لَنَعْلَمُ الْغَيْبُ مَا نَشَاءُ } . . . قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة (الأنعام) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ لِسَانِكَ لَقَاتَلْنَا بِأَيْدِنَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّا لَنَكِيدُنَا بِهِ خَيْبًا لَّكَ } . . .

وقوله : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا لَنَعْلَمُ الْغَيْبُ مَا نَشَاءُ } . . . وفي سورة (بني إسرائيل) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَخْلُوعٌ مِنْكُمْ وَإِنِّي كُنَّا مِنْكُمْ قَبْلَ آدَمَ } . . .